



مختصر خطبة صلاة الجمعة 25/11/2022 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(مفهوم ذكر الله تعالى)

الذكر يقابل النسيان، فهو وصف للقلب لا اللسان، وأصل الذكر تنبه القلب للمذكور، وحقيقة ذكر الله أن يتنبه العبد إلى أنه في سمع الله ونظره، في جميع حركاته وسكناته، ويرى نفسه في حضرته، فلا ينوي ولا يقول ولا يفعل إلا ما يرضيه عنه ويرضاه له.

فالذكر وصف حال القلب، وإنما لجعل ترديد اللسان لألفاظ الذكر ذكراً؛ لأنه يعين القلب على التذكر والروح على التأثر. حقيقة ذكر الله، أن يعرف المرء ربه وقت النفقة فيكريم، وحين البأس فيقدم، وحين الطمع فيحجم. حقيقة ذكر الله أن يتقن العامل عمله لأنه يذكر أن الله يراه، ويجتهد الطالب في دراسته ليعلي بها أمر الله، وترعى الزوجة مال زوجها وولده التزاماً بأمر الله.

حقيقة ذكر الله أن يبر الابن والديه تقرباً من حضرة الله، ويخدم الموظف مراجعيه إكراماً لعباد الله، ويحزن التاجر على أبناء جلدته ليرحمه الله، ويلبي المسلم نداء الصلاة امتثالاً لأمر الله.

يفعل أولئك ذلك كله لأنهم يرون أنفسهم في قبضة الله وسطوته، يتطلعون إلى نعيمه وجنته، ويخافون من عذابه وعقوبته. حقيقة ذكر الله أن تذكر ربك آناء الله وأطراف النهار، وأن تعلم أن عافيتك ونشاطك وسعادتك بذكره وحضورك معه، وأن سقمك وخمولك وشقاءك بغفلتك وبعدك عنه.

قال التابعي الحافظ المفسر سعيد بن جبير: (الذكر طاعة الله، فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن).

تلاوة القرآن الكريم ذكر، وذكر أسماء الله تعالى وصفاته ذكر، وذكر أوامره ونواهيه وأحكامه ذكر، وذكر آلائه ونعمائه ذكر، وما ورد في أدعية وأذكار الصباح والمساء ذكر.

وفائدة هذه الأذكار أن يهتز لها ضمير المسلم وينشرح بها صدره ويرتبط بها قلبه بربه، لتدفعه إلى ساح الحياة مراقباً ربه ذاكراً أنه في سمعه ونظره، يعمر الأرض بهيمته، وينشئ حضارة لأمته، حضارة تجمع بين المادة والروح، والقلب والجسد، والدنيا والآخرة.

وإنه من الغلط البالغ أن يقف المسلم عند تردد الأوراد بلسانه من دون أن يتنبه لها قلبه أو من دون أن تدفعه للقيام بالأعمال التي نيطة بحياته ووزعت على أوقاته.

من الأخطاء التي وقعت في تصور بعض الناس قصرهم الذكر على عدد من الأوراد معين في وقت محدد، وإنهاؤهم ذكر ربهم عند انتهائهم من عدد أورادهم، فتتج عن هذا التصور أن وجدت قارئاً للورد في الصباح معتدياً على حقوق الخلق عند الظهيرة، ووجدت محافظاً على أوراده المسائية، ومفرطاً في واجباته الحياتية.

وعلى الطرف الآخر انقلب قوم على الأوراد والأذكار، فهجروها وانشغلوا عنها بالأموال والأولاد ناسين قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

والصواب أن حقيقة الذكر أن يتنبه العبد إلى أنه في سمع الله ونظره، في جميع حركاته وسكناته، ويرى نفسه في حضرته، فلا يظهر ولا يضمّر إلا ما يرضيه عنه ويرضاه له، إذا أمره ائتمر وإذا نهاه انتهى.
وما الأوراد إلا منبهَةٌ للقلب ليفيق من نومته ويتيقظ من غفلته. والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين